إصدارات مدونة عيون المعرفة

http://knoweyes.blogspot.com

هويتنا اليمنية

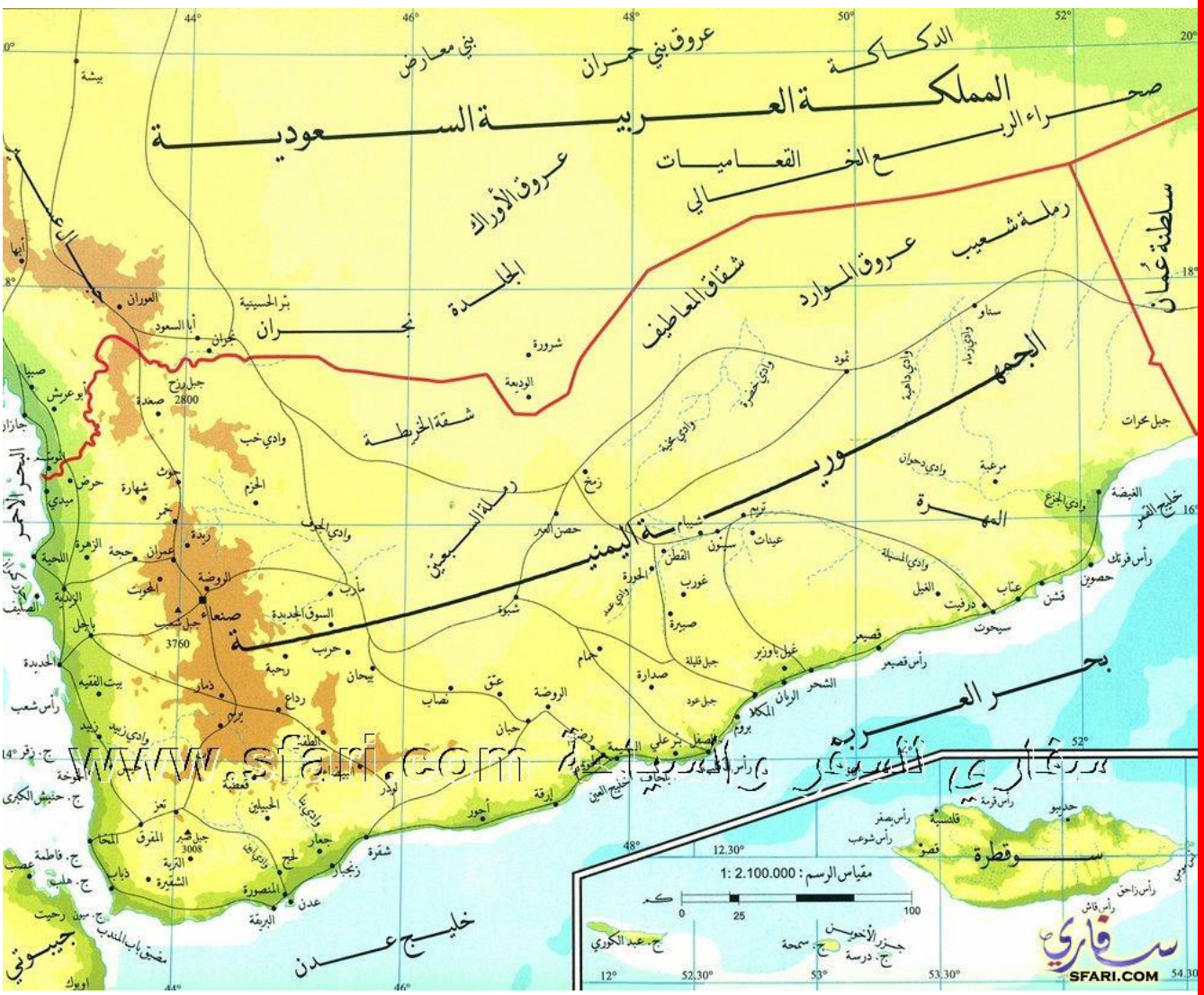

عبد الحفيظ العمري

هويتنا اليمنية

الحديث عن الهوية من الأمور الشائكة التي تحتاج دقة في التعامل مع المصطلح ..
فرغم أن الهوية أمر ملازم لنا لصق جلودنا ولا يمكنن الفكاك من هويتنا مهما حاولنا ، إلا أن تحديدها ليس بأمر هين وتوصيفها لشعب معين لا يمكن بسهولة إلا بعد إعادة البصر كرتين أو أكثر حتى تتضح الصورة.
لكن ما هي الهوية ؟
يعرفها د محمد عمارة بقوله :"هوية الإنسان، أو الثقافة، أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء -إنساناً أو ثقافة أو حضارة- الثوابت والمتغيرات.. فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة." (1)
ما نناقشه هنا هو: ماهي هويتنا اليمنية ؟
وهل لنا - أي اليمنيين - هوية مستقلة بذاتها ؟
وما هي علاقتها بالهوية العربية / الإسلامية ؟
هذه الأسئلة وغيرها سأحاول أن أجيب عنها بقدر المستطاع ..

نظرة للتاريخ

عندما نبحث عن هوية شعب فلا مناص من التنقيب في جذور هذا الشعب لمعرفة متى كان انبعاثه على وجه البسيطة وتشكله بشكله الذي يعرفه المغايرون له ..
لعلنا نحن اليمنيين أكثر شعب مهمل لتاريخه والتدقيق فيه، فرغم كل هذه التطورات في العصور الأخيرة إلا أن التاريخ اليمني القديم لا زال متمركزًا حول الكتابات التي خلفها لنا مؤرخون كبار أمثال لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ونشوان الحميري وغيرهم، فمن جاء بعدهم استند على تلك الكتابات، ثم جاءت البعثات الأجنبية التي "بدأت في البحث عن خفايا الحضارة اليمنية القديمة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكانت أهم بعثة في تلك الفترة هي بعثة (كارستن نيور) عام 1771م التي زارت مأرب ووصفت بقايا سدها العظيم، وبعثة الألماني (فون وريد) عام 1843م، وفريق أكاديمية النقوش الفرنسية "هاليفي" عام 1870م وبعثة جلازر في الفترة من (1882 – 1894م) وبعثة الأكاديمية النمساوية ، وتعتبر البعثة الألمانية أهم بعثة قامت بالتنقيب في اليمن عام 1828م وفي عام 1938م نقّب فريق نسائي من ثلاث

بريطانيات حيث كشفن عن معبد إله القمر وطبقاته إلى جانب الكشف عن بعض المقابر الكهفية المجاورة للمعبد.

إلا أن الدراسات الأثرية تشير إلى أن بعثة (وندل فيليبس) ، المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان تعد من أكبر البعثات الأثرية التي عملت في البلاد حيث نفذت حفرياتها في مدينة تمنع" هجر كحلان" العاصمة القتبانية ومسحت قنوات الري القديمة والنقوش في بيحان عام (1951 – 1952م) لتنتقل البعثة إلى مأرب للعمل في محرم بلقيس"(2)، وفي ثمانينات القرن العشرين كانت البعثات الأمريكية والروسية والإيطالية ...

ورغم ذلك فلا زال تاريخنا الحضاري غير مكتمل التدوين تشوبه فجوات لأحداث في تاريخنا الطويل منذ البدايات ..

ولو سألنا متى بدأت هذه المنطقة تسمى بهذا الاسم "اليمن"؟

يذكر د محمد يوسف عبدالله في كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ) :" اليمن يعني حرفيًا بلاد الجنوب ، وفي اللغات السامية يعني الجذر "يمن" اليد اليمنى أو الجانب الأيمن أو الجنوب ، وفي القرن السادس الميلادي لم يعد تعبير يمن مستخدما في النقوش للإشارة لمجرد اتجاه جغرافي بل بالأحرى إلى منطقة محددة في الجزيرة العربية ، أي الهوية السياسية- الثقافية لجنوب الجزيرة العربية ، بلاد اليمن. "(3)

طبعًا لن نغوص كثيرًا في التاريخ، لكن عبارة (القرن السادس الميلادي) لا يتوافق مع ما تذكره الويكيبيديا التي جاء فيها :" تعد اللقى الأثرية التي عثرت البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة في وادي جردان من أقدم الآثار في اليمن، حيث عثرت على موقعان يحتويان على أدوات ترجع إلى عصر (الاولدوي) وهو أقدم مرحلة من مراحل العصر الحجري، ويعود تاريخها إلى حوالي مليون سنة. كما عثرت على أول آثار لكهوف من العصر الحجري القديم، يتم العثور عليها في الجزيرة العربية."(4)، فهل معقول أن تظل هذه المنطقة الجغرافية بلا اسم محدد طيلة هذا الوقت ؟

ولا يتوافق كذلك مع ما ذكره ابن خلدون في تاريخه: "أن يعرب بن قحطان كان يسمى يمنًا وبه سميت اليمن"(5)، وكان ذلك في أوائل الألف الخامس قبل الميلاد، حيث كانت تسمى هذه المنطقة الجغرافية قبل ذلك "جنوب الجزيرة العربية" .

ومن هنا بدأ اسم اليمن - بغض النظر عن التعليلات الكثيرة حول اشتقاقه - لكن ما يهمنا هنا ظهور الاسم إلى حيز الوجود، لأنه الاسم الذي ستتبلور الهوية حوله في هذه البقعة الجغرافية عبر العصور.

ظهر اسم اليمن في هذه المنطقة الجغرافية، التي دالت عليها عدة دول قبل الإسلام خلال الامتداد التاريخي الطويل ، الذي لسنا في محل شرحه بتفصيله ، لكن نعرف أن اسم سبأ كان الأشهر منها ،طبعًا بجوار معين وقتبان وأوسان وحضرموت و أخيرًا حمير ..

خلال تلك العقود الطويلة دخلت مكونات كثيرة إلى هذه الأرض ، لعل أهمها مكوّن الدين والغزو.

مكوّن الدين

تعددت مكونات الدين لدى اليمنيين القدامى، بل صار لكل دولة مكوّن خاص ، مع وجود مكوّن عام ، حيث "احتوت النقوش اليمنية القديمة على أسماء عدد كبير من الآلهة، التي كونت ما يمكن تسميته اصطلاحًا بمجمعات الآلهة، في كل من سبأ، وأوسان، وقتبان، وحضرموت، ومعين. وكان الإله عثتر يقف على رأس كل مجمع من مجمعات الآلهة، إلى جانب الإله الرسمي، وآلهة الشعوب (القبائل) والمناطق المنضوية في إطار هذه المملكة أو تلك، وآلهة الحماية الخاصة بالأسر الحاكمة في الفترات التاريخية المختلفة، ويتكون مجمع الآلهة في سبأ من: (عثتر، هويس، ألمقه، ذت / حميم، ذت / بعدن)، وفي قتبان من: (عثتر، عم، أنبي، حوكم، ذت / صنتم، ذت / ظهرن). أما في حضرموت فهو مكون من: (عثتر، سين، حول، ذت / حسولم). وفي معين: (عثتر، ود، نكرحم، ذت / نشقم)."(6)

كل هذه المسميات القديمة صبغت الهوية اليمنية بصبغتها الدينية ، فـ"المكرب" ـ على سبيل المثال ـ كان هو النموذج لرجل الدين في دولة سبأ ،"ومن الألفاظ الخاصة برجال الدين، لفظة "رشو"، الواردة في النصوص المعينية والقتبانية، أطلقت على من كان يقوم بخدمة الإله "ود" إله معين الرئيس و"عم" إله شعب قتبان الرئيس. فهي في معنى سادن في لغة أهل الحجاز ووردت لفظة "شوع" في المعينية أيضًا في المعنى نفسه. و"رشوت" "رشوة" بمعنى سادنة وكاهنة."(7)

ودخلت بعد ذلك الاديان الرسمية كاليهودية ـ شهدت البلاد تواجداً يهودياً منذ القرن الثاني للميلاد- والنصرانية "المسيحية" التي أدخلها الذين حكموا اليمن من التبابعة وغيرهم .

لسنا هنا في مكان عرض التاريخ إلا مع ما يناسب الموضوع الأصلي، فهذه الأديان التي دخلت إلى البلد صبغت أهلها بصبغة خاصة وكونت جزء من الهوية الوطنية الشاملة، "لأن الهوية هوية شيء ما غير قابلة للإدراك إلا بوصفها حصيلة تراكم متجدد. فما لا يكون في زمن جزءاً من مكونات الهوية، قد يصبح كذلك في زمن لاحق. وما كان من مكوناتها أو من محدداتها في زمن، قد يندثر مفعوله فلا يعود في جملة ما تتحدد به هوية الشيء." (8)

فنجد هذه الأديان صبغتنا بثقافاتها، حتى ولو لم نكن معتنقين معتقداتها ، لأن التاريخ الطويل منذ دخول الديانة اليهودية ـ على سبيل المثال ـ اليمن ، قد أفرز ثقافة تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل.

وما ظل في الذاكرة الشعبية عن محرقة الاخدود التي جرت في عهد ذي نواس الحميري ،تلك الحادثة التي سجله القرآن الكريم، التي لا يمكن تناولها بمعزل عن الديانتين النصرانية واليهودية في اليمن!

ومثل ذلك نقيسه على النصرانية، بالذات التي كانت في نجران، ولعل خبر أهلها معلوم مع الرسول عليه الصلاة السلام في السنة التاسعة هجرية والكتاب الذي كتبه لهم.(9)

كل تلك المؤثرات لا شك صبغت الهوية اليمنية بصبغتها ولونتها بلونها الخاص، فتشكلت الهوية التي تمسنا اليوم.

وقد يقول قائل : أين أثر النصرانية أو المسيحية علينا اليوم في هويتنا اليمنية ؟

أقول: ماذا عن هجوم الاحباش " دولة أكسوم " على اليمن في 525م ؟

ألم تكن بسبب ما قام به ذو نواس ضد نصارى نجران في الاخدود ؟

فكان غزو الاحباش لليمن نقطة انعطاف في التاريخ اليمني قبل الإسلام..

وبعدها تملك أبرهه الأشرم حكم اليمن وبناءه القُلَّيْس ـ الذي بقيت آثاره إلى اليوم.

أما الإسلام كديانة خاتمة لا أظن أن أثره في تشكيل الهوية اليمنية ـ بل العربية كاملة ـ يخفى علينا، لأن هذه المعتقدات كلها أحدى محددات الهوية الاساسية، إذا لم تكن كلها مجتمعة، كما يقول محمود سمير المنير:" والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى."(10)

الغزو

تعرضت اليمن طيلة تاريخها الطويل للغزو من قبل دول متعددة ..

ولعل أقدمها كانت حملة إليوس جالوس الرومانية التي تحركت من مصر عام 24 قبل الميلاد، ووصل جيشها- الذي كان قرابه عشرة آلاف رجل- إلى "مريب (اليوم مأرب) العاصمة السبئية، لكنه وقد خذله المرض والعطش، تراجع بسرعة دون أي نتيجة أخرى تدنيه من التعرف أكثر على الجزيرة العربية ولا سيما التحقق من مناطق انتاج اللبان."(11)

لكن غزاة آخرين جاءوا بعد ذلك، فيسجل التاريخ لنا الاحتلال الحبشي الذي دام بين عامي 525 م وعام 575 م، بقيادة إرياط الذي خلفه إبرهه الأشرم عام 537 م، "وقد استمرت نصرنة

البلاد في عهد أبرهه الذي أسس في عاصمتها صنعاء كاتدرائية رائعة "(12) تُعرف الآن بغُرقَة القُلّيس.

وتخلص اليمن من غزاة مستنجدا بغزاة آخرين هم الفرس الذي جاء بهم سيف بن ذي يزن في قصة مبسوطة في كتب التاريخ، والذين حكموا البلد من بعده وحتى مجيء الاسلام عندما أسلم حاكم اليمن -آنذاك- باذان، وقد ترك الفرس ذرية لهم "تيمنوا- أي صاروا يمنيين" وهم ما يسموا بالأبناء، تمامًا مثلما الأحباش من قبلهم أو ما تبقى منهم تيمنوا هم أيضًا، وكذلك سنشاهد هذا التيمّن أيضًا في الآخرين بعدهم الذين دخلوا اليمن من الأتراك أو العرب.

إن أي عرق دخيل على أصالة سكان أي منطقة جغرافية لا شك يؤثر في الهوية الاصلية لهذا الشعب، بل ويتأثر هو الآخر منهم، والمحصلة أن تذوب هويته الخاصة في وسط عباب الهوية العامة الأصلية، وهذا ما نشاهده من ذوبان الهوية الفارسية والحبشية والتركية وسط الهوية اليمنية العامة، فصاروا يمنيين الهوية وإن بقيت الأصول القديمة موجودة كامنة فيهم، لكن هذه الهويات الجزئية شكلت إضافة للهوية الاصلية التي صبغت الكل بصبغتها.

لكن إن أي نزعة للمناداة بالهوية الجزئية على حساب الهوية الكلية يمثل خطورة من حيث أنه يهدد الهوية الكاملة بالتجزء والتشرذم إلى هويات جزئية متخندقة خلف الدين أو العصبة أو الجغرافيا أو أي مسمى جزئي آخر، مما يؤدي بالبحث عن هوية جامعة هي الهوية الوطنية؛ لأن " الهوية القومية أو الهوية الدينية أو الهوية العرقية أو الهوية الطائفية، هي نماذج للهوية الضيقة، ولكن هناك نموذج أوسع من ذلك عندما تكون الهوية جامعة لأكثر من قومية وأكثر من دين أو أكثر من عرق وأكثر من طائفة، وبهذا تتجاوز الهوية إطارها الضيق لتعبر عن المشترك الأوسع في الانتماء، وهي الهوية الوطنية التي تنتمي لجغرافية وتاريخ ومصالح مشتركة."(13)

الهوية الوطنية

نحن في اليمن هل نحتاج الهوية الوطنية ؟

أقول: نعم.

لأن التمترس العنيف خلف الدين صار يمثل حجر الأساس في كل الهويات الجزئية الفاعلة على الساحة اليمنية المعاصرة، بل قد أفضى هذا التمترس إلى الصراع باسم الدين !

"صحيح أن الدين يشكل بعدا من أبعاد الوجود الإنساني وأثره وبُعده موجود، لكن حضورُه في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والشعوب والدول يتخذ درجاتٍ متفاوتةً من فترة إلى أخرى. لكن حضوره في كل تفاصيل الهوية العربية الإسلامية ينتج أزمة ناتجة عن التمسك بقراءة

معينة للنص الديني تتمسك بتلابيب الماضي وتعتصم بالتراث بكل ماله وما عليه من أخطاء وخيانات سياسية واجتماعية تم خلطها بالدين."(14)

والذي زاد في الطين بله ليس " غياب لغة الخطاب الهوياتي المستند على الدين عن الواقع المعاش، بل والخلط السيئ بين النصوص الدينية وبين الفقه المنتج من عقول الفقهاء والمحدثين والمفسرين لتلك النصوص حتى أصبح الدين ليس هو مجموعة النصوص وإنما هو تفسير ما فسره الفقهاء والمحدثين والمفسرين لتلك التفسيرات والتأويلات البعيدة عن روح النص والمختلطة بمناخ وبيئة والحالة النفسية والعقلية للفقيه والمفسر والمحدث وقد تم انتقال تلك المفاهيم جيلاً بعد جيلاً بكل ما تحمله هذه المفاهيم من معاني وتأويلات بعيده عن روح العصر الحاضر."(15)

كل هذا يجري في بلداننا العربية - واليمن خاصة - في حين "تقترب أوربا يوما بعد آخر لتشكل الهوية الأوربية المبنية على المصالح المشتركة والتي تتقدم بخطى سريعة وثابتة، بالرغم من اختلاف شعوبها في القومية والدين واللغة، وغيرها من الاختلافات البينية."(16)

تلوّن الهوية

حاجتنا للهوية الوطنية لا يمنعنا من تتبع تغير الهوية اليمنية عبر عصور التاريخ التي مرت بها اليمن منذ ظهور هذا الكيان سياسيًا في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام بقرون كثيرة - على اختلاف المؤرخين في ذلك لذا لم نحدد رقما!

المهم كان هناك كيان سياسي اسمه يمن، هذا الكيان لعبت ظروف عديدة على تشكيل هويته ، لأن الهوية ليس كيان جامد بل إن "هوية شعب ما تتشكل عبر مئات السنين من خلال تفاعله مع الطبيعة وبيئته الجغرافية ومع بني جلدته ومع الشعوب الأخرى."(17)

ولعل العامل الجغرافي واضح لدينا في تشكيل هذه الهوية اليمنية، من خلال هذا التباين بين الجبال والسهول والسواحل التي انعكست على التركيب السكاني لنا، بل وخالطت الوجدان الشعبي فأطلق على المناطق التي تبدأ من سمارة شمالاً اسم اليمن الأعلى وما تحت ذلك اليمن الأسفل ، وصارت تعرف أيضًا باسم أهل مَطْلَعْ وأهل مَنْزَلْ !

ولا ننسى السواحل الغربية على امتداد التهائم التي لها تقسيم آخر، حيث سميت السواحلي مقابل الجبالي الذين هم غيرهم ..

هذه التقاسيم الجغرافية أثرّت على السكان وصبغتهم بصبغتها، بل ولعبت هذه التضاريس دورها في انتشار المفاهيم والأفكار، ومن ذلك المذاهب الدينية لدينا، فالمذهب الزيدي - على سبيل المثال- يكاد ينحصر في المناطق العليا ولا يوجد له صدى في مناطق السهول ولا

السواحل رغم أن الإمام أحمد حميد الدين ـ رحمه الله ـ قد نقل عاصمة دولته إلى تعز بعد مقتل والده في عام 1948م، واستقر هناك حتى وفاته ، لكن المذهب لم ينتقل معه..

ويذكر التاريخ ثورة الفقيه سعيد صالح العنسي التي كانت في سنة 1256هـ/ 1480م ضد الإمام الهادي محمد بن أحمد وضد حكم الإمامة "وامتد سلطانه من زبيد غربًا إلى يافع شرقًا وشمل منطقتي تعز وإب"(18)، لكن تلك الثورة انتكست عندما خرج عن الغطاء الجغرافي المحيط له، رغم الأسباب التي ذكرها المؤرخون من منافسة الفقيه سعيد الإمام احمد الهادي في الإمامة " مما أثار عليه إنكار فقهاء الجنوب الشافعي المتمسك بنظرية الإمامة في قريش"(19)، لكننا نجد توسعه وصدى دعوته في النطاق الجغرافي الذي خلفته دول حضارية سابقة له كالصليحية والرسولية ..

الجغرافيا صناعة التاريخ

لو عرّجنا على علاقة الجغرافيا بالتاريخ، سنجد أن" الجغرافيا أقوى من التاريخ- لاشك، لماذا؟ لأن الجغرافيا تحكم و تصنع التاريخ، ولكن التاريخ لا يحكم الجغرافيا ولا يصنعها."(20)

فهل يصدق هذا على اليمن؟

منْ يطالع التاريخ، يكتشف أن أعظم دول اليمن الحضارية في العصر الوسيط تمركزت في مناطق الانبساط الجغرافي، كالصليحية في إب والرسولية في تعز، صحيح أن الايوبيين قد مهدوا الطريق للرسوليين في صناعة دولتهم، لكن هؤلاء الأخيرين أيضًا مهدوا للطاهرين الذين شيدوا دولتهم العمرانية، فكانت حلقات متتابعة.

كل هذا أثّر في الأحفاد الذين يعيشون في هذا المناطق أو استوطنوها، " فعلى الرغم من أن اليمن افتقر إلى وجود دولة مركزية خلال معظم فترات تاريخه الإسلامي حتى ستينيات القرن العشرين، إلا أن المناطق التي تعيش فيها قبائل حمير ومذحج وكندة، شهدت تأسيس بعض الدول التي اتسمت بطابع مؤسسي، منها الدولة الأيوبية، الرسولية، الطاهرية، ثم الاحتلال العثماني والإنجليزي، فيما خضعت المناطق التي تسكنها قبائل حاشد وبكيل للدولة الزيدية، التي اتسمت بطابع فردي بونابرتي.

ولم يؤسس الأئمة الزيديون أية مؤسسات حكومية خلال تاريخهم، فقد كانوا خلال تلك الفترة كلها أشبه بحركة تحرر تخوض حرب أغوار، بل إن الجيش الذي قاده الأئمة الزيديون كان

جيشاً قبلياً، وذلك خلافاً للدول التي قامت في مناطق قبائل حمير ومذحج وكندة، التي أسست جيوشاً محترفة، ومؤسسات حكم. لذلك تعزز الطابع الحربي لقبيلتي حاشد وبكيل وضعف عند القبائل الأخرى. وعلى الرغم من أن النظام عمل منذ 1990م على إحياء البنى والعلاقات القبلية في هذه المحافظات، إلا أن السكان المحليين فيها ظلوا متمسكين ببعض التوجهات المدنية التي اكتسبوها خلال العقود والقرون الماضية."(21)

الهوية الوطنية

لقد مر التاريخ بنا وتشكلت هويتنا اليمنية الجامعة، وصرنا يمنيين، تلك الهوية التي تميزنا عن جيراننا في الجزيرة العربية أو غيرهم في أماكن كثيرة.

فصار اليمني كذلك منذ البدايات الأولى أيام يعرب يمن المؤسس الأول قبل أكثر من سبعة ألف عام!

قد تستغربوا من الرقم طبعًا، لكن اليمنيين تميزوا بوجودهم منذ قحطان الذي تناسلوا منه، وعُرفوا بهذا الصيغة "القحطانيين" في إشارة إلى تميزهم عن عرب الشمال "العدنايين".

ولو سألنا متى عاش قحطان؟ لأجابك القاضي عبدالله الشماحي بقوله " كان قحطان من رجال الألف السابع أو الثامن قبل الميلاد."(22)

ناهيك عن قول ابن خلدون في تاريخه عن العرب العاربة "هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثارًا في الأرض وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه."(23)

لكن كتب التاريخ التي كتبت عن تلك الحقبة كانت تهمل مثل هذه الأحداث وتضعها في خانة الأساطير، وقد ذكر د جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) ضمن مبحث بعنوان (القحطانية والعدنانية في الإسلام) " فقد لوّن اليمانيون تأريخهم القديم بألوان زاهية جميلة من القصص والحكايات والأخبار، فهم الذين زعموا أن قحطان هو ابن هود النبي، فأوصلوا نسبهم بالأنبياء، وهم الذين أوصلوا نسب قحطان إلى إسماعيل، فنفوا بذلك أي فضل كان للعدنانيين على القحطانيين في الآباء والأجداد، وهم المسئولون عن هذا التقسيم المشهور المعروف للعرب وجعل القحطانيين في الطبقة الأولى من العربية بالنسبة إلى العدنانيين، وهم الذين نظموا في الإسلام تلك الأشعار والقصائد التي ذكرها الرواة على أنها من نظم التبابعة وملوك القحطانيين، وهم الذين ساقوا تلك الحكايات عن الفتوحات العظيمة لملوك اليمن وعن حكم القحطانيين للعدنانيين واستذلالهم إياهم.

وقد استغل العدنانيون ظهور الرسول بينهم، فاتخذوا من هذا الشرف ذريعة للتفاخر والتباهي على القحطانيين. وقد أجابهم اليمانيون على ذلك بأنهم هم الذين كان لهم شرف نصرة الرسول وإعلاء كلمة الله، وهم الذين كونوا مادة الجيش الإسلامي، وهم الذين آووا الرسول وفتحوا مكة. وتمسك العدنانيون بأذيال إبراهيم وعدوه جدهم الخاص بهم، مع أنه جد العرب عامة كما في القرآن الكريم، ونفوا كل مشاركة للقحطانيين في هذا النسب الشريف. وقد كان لهم ما يساعدهم في تقوية حجتهم، فقد كان الرسول من صلب إسماعيل والرسول منهم، فإبراهيم هو أبو المختص بهم."(24)

ويفيض د جواد في هذه الأخبار التي يراها من "القصص والحكايات التي وضعها الرواة في صدر الإسلام حين احتدم الخلاف بين الأنصار وقريش، سجلت في الكتب، ورُويت للناس، وانتشرت بينهم على أنها أمور واقعية، وأن العرب كانوا من أصلين: قحطان وعدنان.

وقد كان لكل فريق رواة وأهل أخبار يقصون على الناس قصصًا وأخبارًا في أخبار النزاع القحطاني العدناني."(25)

لتكن أساطيراً أو حقائق، المهم أنها صارت في الوجدان الجمعي العربي، وقد تقاتلوا من أجلها أيام بني أمية فيما عرف بالقيسية اليمانية.

لذا قد نسأل هل انتقل هذا الصراع القحطاني/ العدناني إلى اليمن ؟

معالم الهوية اليمنية

قبل الإجابة يجب أن نعرف أن اليمن جمعت الديانات السماوية الثلاث كلها على أرضها من يهودية ونصرانية ـ مسيحية و الإسلام ، وهذا الأخير كان له مذهب متميز في اليمن على أغلب مواطن الإسلام الأخرى؛ إنه المذهب الزيدي الذي دخل اليمن مع الإمام الهادي يحي بن الحسين الرسي في عام 893م وتعايش مع المذهب السني فيها ، بل أن المذهب الزيدي حمل الصبغة اليمنية في التوسط بين غلو الشيعة وغلو السنة معًا ، وصار اعتدالاً ونموذجًا يحتذى به .

ولا ننسى المذهب الإسماعيلي الذي دخل اليمن على يد ابن حوشب واستقر هذا المذهب في أماكن معينة من اليمن، رغم أنه كان مذهب الحاكم الفعلي لليمن في زمن الدولة الصليحية !

ولا غرابة، فأهم معالم الهوية اليمنية ذوبان الأفكار القادمة والأعراق في نهر الهوية العظمى، ومن ذلك أعراق فارسية وتركية وحبشية وعدنانية انصهرت وصارت يمنية لا يفرقها شيء، لذا فجوابنا على السؤال المطروح سابقًا هو: إن المغالين وحدهم هم الذين ينادون بتلك الهويات الجزئية، سواء إثنية أو دينية أو حتى مناطقية، وأحيانًا يتم الخلط هويتين جزئيتين معا أو أكثر، ولعل أسوأها هو توظيف الدين في السياسة لمصلحة طائفة دون غيرها، وقد يكون عذرهم في

ذلك هو التهميش السياسي أو التعبير عن موقف سياسي، كما يعلل ذلك د محمد عابد الجابري بقوله: " فالذي يحدث هو أن توظيف الدين في السياسة إنما يلجأ إليه العقل السياسي للجماعة عندما لا يكون من مصلحتها التعبير عن قضيتها/ الاقتصادية تعبيرًا سياسيًا صريحًا ومطابقًا، لأن ذلك يفضح الطابع المادي الاستغلالي لتلك القضية، أو عندما لا تستطيع تلك الجماعة ذلك، بسبب ضعف وعيها، نتيجة عدم بلوغها مستوى من التطور يجعلها قادرة على طرح قضيتها الاجتماعية/ الاقتصادية طرحًا مكشوفًا. وفي كلتا الحالتين يكتسي توظيف الدين في السياسة طابعًا طائفيًا أو مذهبيًا قوامه استعادة نزاع قديم وبعث الحياة في رموزه ومضامينه الإيديولوجية."(26)

لذا أقول للمحافظة على هويتنا اليمنية الجامعة من التفتت إلى هويات جزئية تلتف كل طائفة حولها، لا بد من المناداة بالهوية الوطنية، هوية الأرض غير المتبدلة ولا المنتقلة ولا المتلونة. إنها الهوية اليمنية الخالدة ..

والله أعلم

الهوامش :

1- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، فبراير 1999م، ص: 6.

2- صحيفة مأرب برس - يوم 22 يوليو2007م.

3- اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي ، مراجعة د محمد سيف عبدالله ،دمشق ،ط1 ،1999م، ص:15.

4- موسوعة الويكيبيديا

http://ar.wikipedia.org/wiki /تاريخ_اليمن

5- اليمن في تاريخ ابن خلدون ، محمد حسين الفرح ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء ، ط1، 2004م، ص:28.

6- آلهة اليمن من التعددية الى التوحيد، خليل وائل محمد الزبيري، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، بكلية الآداب جامعة عدن، 2000م، ص:4.

7- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي، دار الساقي، ط 4،2001م، ج 11، ص: 212-213.

8- عبدالاله بلقزيز- مفهوم الهوية في بُعد نسبي وتاريخي- جريدة الخليج يوم 2009/4/20م.

9- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس،1987م، ص: 111-128.

10- العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 146.

11- اليمن في بلاد ملكة سبأ، مرجع سابق ، ص:180.

12- نفسه ص:191.

13- دراسة في مفهوم الهوية، حبيب صالح مهدي، هيئة التعليم التقني، ص5

14- أزمة الهوية في العالم العربي، أزمة معنى أم أزمة حضارة؟- عزيز مشواط - منبر الحرية /http://minbaralhurriyya.org

15- نفسه

16- دراسة في مفهوم الهوية، مرجع سابق

17- سؤال الهوية ، د عبدالوهاب المسيري ، موقع الجزيرة نت ، بتاريخ 01-08-2007م.

18- مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، د حسين عبدالله العمري، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1984م ، ص:293.

19- نفسه.

20- صفحات من أوراقه الخاصة د جمال حمدان، إعداد وتقديم د عبدالحميد صالح حمدان ، دار الغد العربي القاهرة ،ط1 ، 1996م ،ص:64.

21- القصر والديوان :الدور السياسي للقبيلة في اليمن ،إعداد/ د عادل مجاهد الشرجبي وآخرون، المرصد اليمني لحقوق الإنسان، صنعاء، 2009م، ص:51.

22- اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله الشماحي، منشورات المدينة، بيروت- لبنان، ط3 ،1985م،ص: 35.

23- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، د.ت، ج2 ، ص:18.

24- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، ج 2، ص: 152-153.

25- نفسه ص:156.

26- الدين والدولة وتطبيق الشريعة، د محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان، ط1 ،1996م ، ص: 118-119.

***

مع تحيات

مدونة عيون المعرفة

http://knoweyes.blogspot.com